في مواجهة محاولات الهيمنة الأمريكية على آسيا الوسطى: أول مناورات عسكرية مشتركة بين الصين وروسيا

21-8-2005

موسكو وبكين تدركان جيداً أن الأمن في منطقة آسيا الوسطى لا يتجزأ، وأنهما إذا لم يتفقا في بعض المجالات، فإنهما يشتركان بشكل واضح في معارضة الهيمنة الأمريكية وسعي الولايات المتحدة لاحتواء دول المنطقة في إطار ترتيبات عسكرية وأمنية أمريكية، تكفل تأمين وجودها ومصالحها الإستراتيجية في المنطقة.

بقلم خدمة العصر

في خطوة هي الأولى من نوعها، بدأت الصين وروسيا في إجراء مناورات عسكرية مشتركة، في البحر الأصفر وإقليم شاندونج الصيني، وذلك خلال الفترة من 18 إلى 25 أغسطس الجاري. التدريبات المشتركة بين البلدين، والتي تجري في إطار منظمة شنغهاي للتعاون، عكست المخاوف المتزايدة لدى بكين وموسكو من التغلغل العسكري الأمريكي في آسيا الوسطى، كما كشفت أيضاً عن حجم التباين في الأهداف الإستراتيجية لكلا البلدين، الأمر الذي يفرض مزيداً من القيود على مستقبل التعاون المشترك فيما بينهما.

القادة الروس والصينيون يرون أن الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، وسعي واشنطن لدعم الثورات الملونة في جورجيا، وأوكرانيا، وقيرغيزستان، والعمل على تغيير نظم الحكم في جمهوريات آسيا الوسطى، يهدد الاستقرار في المنطقة، كما اعتبروا إدانة الإدارة الأمريكية لطريقة تعامل حكومة أوزبكستان مع مظاهرات أنديجان في مايو الماضي بمثابة ازدواجية في السياسة الأمريكية الرامية إلى احتواء ما يسمى بالإرهاب.

خلال القمة الأخيرة لمنظمة شنغهاي، والتي تضم كلا من الصين وروسيا، إضافة إلى أوزبكستان، وكازاخستان، وقيرغيزستان، وطاجيكستان، طلبت جمهوريات آسيا الوسطي من التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة، تحديد موعد لسحب قواته واستخدامه المؤقت للبنية الأساسية في دول آسيا الوسطى، بالنظر إلى أن الوضع في أفغانستان أصبح تحت السيطرة، وأن الولايات المتحدة لم تعد بحاجة إلى الإبقاء على قواعد لها في المنطقة، ولا إلى طلب تسهيلات عسكرية من أوزبكستان وقيرغيزستان، أو مرور طائراتها العسكرية في الأجواء الطاجيكية.

من جانب آخر، فإن الولايات المتحدة وعقب أحداث أنديجان، قاتجهت نحو تصعيد انتقاداتها ضد أوزبكستان، بدعوى انتهاكها لحقوق الإنسان وقمع المتظاهرين بطريقة وحشية، كما جمدت واشنطون جانباً من المساعدات المقدمة لطشقند، فضلاً عن مشاركتها في إجلاء مئات اللاجئين الذين فروا من أحداث أنديجان إلى الدول المجاورة، مما دفع حكومة إسلام كريموف إلى مطالبة الحكومة الأمريكية في 3 يوليو الماضي بتفكيك قاعدتها الجوية في أوزبكستان، وأمهلت واشنطن 18 يوماً لسحب طائراتها وجنودها ومعداتها العسكرية من القاعدة الواقعة جنوبي أوزبكستان.

الولايات المتحدة من جانبها أعلنت أن وجودها في آسيا الوسطى أمر حيوي، ومع ذلك فإنه لن يتأثر بإخلاء قاعدتها في أوزبكستان. وكان وزير الدفاع الأمريكي قد قام خلال الشهر الماضي بجولة شملت عدداً من دول آسيا الوسطى -ليس من بينها أوزبكستان- وحصل على موافقة قيرغيزستان على استمرار القواعد الأمريكية على أراضيها، إضافة إلى موافقة طاجيكستان على مرور الطائرات العسكرية الأمريكية بأجوائها.

رغم العلاقات الوطيدة بين روسيا والصين في العديد من المجالات، فإن هناك الكثير من التباينات في الأهداف الإستراتيجية لكلا البلدين، كما أن روسيا لديها العديد من التحفظات بشأن تحركات الصين لتدعيم نفوذها في جمهوريات آسيا الوسطى، والتي تعتبرها موسكو بمثابة مجال حيوي لها، وقد كانت حكومة بوتين حاسمة في رفضها أي دور لمنظمة شنغهاي فيما يتعلق بترتيبات الأمن الجماعي في آسيا الوسطى، حيث تفضل روسيا إبقاء هذه المهمة في إطار كومنولث الجمهوريات المستقلة. يذكر أن روسيا أقامت قاعدة عسكرية لها في قيرغيزستان في أكتوبر 2003، كما أقامت قاعدة أخرى في طاجكستان في أكتوبر 2004.

المناورات المشتركة التي تجرى حالياً بين البلدين كشفت جانباً آخر من الخلافات بين البلدين، فقد اقترحت روسيا في البداية إجراء التدريبات في إقليم "شينجيانج"، بالنظر إلى قربه من قاعدتها الجوية في قيرغيزستان، لكن الصين رفضت العرض الروسي، واقترحت إجراء التدريبات في إقليم "شيانج" القريب من تايوان، وفي محاولة لاحتواء الخلاف بين البلدين، تم الاتفاق على أن تجرى المناورات في إقليم "شاندونج".

مع تنامي التعاون الاستراتيجي بين الصين وروسيا خلال عقد التسعينات، ظل موقف المسئولين الروس ثابت في التعبير عن مساندتهم لسياسة "صين واحدة"، ومع ذلك فقد عارضوا أي محاولة من جانب بكين لتوريطهم في مواجهة عسكرية بشأن تايوان، ولهذا السبب عارضت روسيا إجراء المناورات العسكرية المشتركة بالقرب من الحدود مع تايوان.

من بين عشرة آلاف جندي شاركوا في هذه المناورات، لم تسهم موسكو إلا بنحو 18 جنديا فقط، إضافة إلى عدد من وحدات الأسطول البحري الروسي، تشمل مجموعة من السفن المضادة للغواصات من طراز B D K- 11، إلى جانب عدد من الغواصات والمدمرات، ويشارك الأسطول الروسي مع القوات الصينية في عملية إنزال برمائي على شاطئ جزيرة "شياودونج". القاذفات الروسية تشارك أيضاً في عمل غطاء جوي باستخدام مقاتلات عسكرية من طراز S U 27، مع عدد من صواريخ كروز المضادة للأهداف البحرية، والتي يصل مداها إلى 153 كيلو متراً.

موسكو تعتبر هذه المناورات العسكرية فرصة جيدة لتدريب قواتها، واختبار تجهيزاتها العسكرية الجديدة، والأكثر أهمية من ذلك هو محاولة تسويق بعض الأسلحة الحديثة للصين، خاصة وأن مبيعات الأسلحة الروسية للصين خلال السنوات الأخيرة لم تقل عن بليوني دولار سنوياً. وبالنسبة للصين، فإن هذه التدريبات العسكرية تمكنها من استعراض قوتها العسكرية أمام جيرانها، وعلى وجه الخصوص اليابان، التي تريد بكين توصيل رسالة إليها، مفادها أنها قادرة على الدفاع عن مصالحها في المناطق المتنازع عليها بين البلدين. كما تسعى بكين لتوصيل رسالة أخرى إلى تايوان، والدول التي تؤيدها، بأنها لن تتورع عن استخدام القوة العسكرية لاستعادة جزيرة تايوان إذا أقدمت على إعلان استقلالها.

موسكو وبكين تدركان جيداً أن الأمن في منطقة آسيا الوسطى لا يتجزأ، وأنهما إذا لم يتفقا في بعض المجالات، فإنهما يشتركان بشكل واضح في معارضة الهيمنة الأمريكية وسعي الولايات المتحدة لاحتواء دول المنطقة في إطار ترتيبات عسكرية وأمنية أمريكية، تكفل تأمين وجودها وومصالحها الإستراتيجية في المنطقة.

للعودة للأعلى